

الكفاية التربوية للمعلمين ودورها في جودة التعليم

Educational sufficiency for teachers and its role in the quality of education

د. بوسماحة الطيب^{1*}

¹ المدرسة العليا للأساتذة بشار (الجزائر)، مخبر الدراسات الإنسانية والاجتماعية في الجزائر (الجزائر).

bousmahatayeb08@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/20

تاريخ القبول: 2024/12/16

تاريخ الاستلام: 2024/07/25

ملخص: يهدف المقال إلى محاولة إبراز دور الكفاية التربوية في عملية جودة التعليم، حيث إن العمل التربوي والتعليمي يعتمد في أساسه على المعلم، وهو العنصر المنفذ للعملية التعليمية، وهو العمود المنوط به مجموعة من الكفايات والمقومات كحسن التحضير، وامتلاك المعرفة اللازمة، والقدرة على التعامل مع الصف الدراسي، ودقة التوجيه والتقويم، وكل هذه المقومات لها دور فعال في جودة التعليم، حيث تتحقق الكفايات والمهارات والخبرات المطلوبة في المتعلمين، فتبدع العملية التعليمية في بلورة مهارات التفكير، وكفايات النقد والتحليل، والقدرة على استغلال التقنيات الحديثة، والتربية على القيم العالية للمواطنة والمشاركة الإنسانية، وبالتالي المساهمة في إنتاج جيل متعلم ذي فائدة فعالة وإيجابية مستمرة ومتواصلة ومتجددة.

كلمات مفتاحية: الكفايات، المعلم، الجودة، التعليم، المتعلم.

Abstract: This article aims to try to highlight role of educational competence in the process of quality education, as educational work depends essentially on the teacher, who is the implementing element of the learning process, and is the pillar entrusted with a set of competencies and components such as good preparation, possession of the necessary knowledge, and the ability to deal with the class. Study, accuracy of guidance and evaluation, and all of these components have an effective role in the quality of education, as the required competencies, skills and experiences are achieved in the learners, so the learning process is creative in crystallizing thinking skills, critical and analytical competencies, the ability to exploit modern technologies, and education on the high values of citizenship and human participation. Thus contributing to the production of an educated generation with effective, positive, continuous, and renewable benefit.

Keywords: Competencies; teacher; quality; education; learner.

1. مقدمة:

يعتبر حقل التربية والتعليم في الدول المتحضرة من الحقول الاستراتيجية الهامة، التي يجب أن يُعنى بها اعتناء كبيرا ومتجددا يوافق متطلبات العصر ومتغيرات المرحلة، وذلك لما له من دور كبير في بناء المجتمعات، وقيام الدول، وتحقيق الرؤى المستقبلية، والأهداف المرجوة لما يرمي إليه كل مجتمع، أو كل دولة، في إطار السياسة العامة في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وتكون الرؤية التربوية ذات أبعاد استراتيجية في بلورة الأهداف العامة للدولة في هذه المجالات.

ولقد قامت الحضارات منذ القديم على عنصر التربية والتعليم، مما أسهم في ظهور الكثير من القادة والعلماء والفلاسفة والمفكرين الذين كان لهم دور كبير في إنتاج الكثير من النظريات التي تشغل على التأسيس لعلوم التربية وما تعلق بها، وفي تاريخ الحضارة الإسلامية ما يشير إلى قيمة التربية والتعليم، فالقرآن الكريم بدأ نزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بآية اقرأ، وهي صيغة أمرية تحث على ضرورة فعلية لا بد أن تتجسد كسلوك إنساني مهم يكون له دور عظيم في بناء أمة تصلح أن تكون قائدة للبشرية.

إن مسيرة الإنسانية على اختلاف طرقها، وتعدد سبلها التي سارت عليها منذ فجرها الأول إلى اليوم، أثبتت أن العملية التعليمية ضرورة إنسانية، فقضية التعليم والتربية تكاد تكون مشتركا إنسانيا في مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها البشرية، فالتعليم يعد طبيعة فطرية في الإنسان، بل في جميع الكائنات على اختلافها، وقد أثبت القرآن الكريم البداية الحقيقية للعملية التعليمية، والتي تحمل بعدا تربويا، حيث يَبَيّن أن آدم عليه السلام، وهو الإنسان الأول، والأب لكل البشر، قد تلقى تعليما إلهيا من خلال قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (سورة البقرة، الآية 31)، وقد كان هذا التعليم ذا أبعاد تربوية، حيث كان في جو حوار بين الله والملائكة، فبين الله أن الخلافة التي خلق لها الإنسان كانت لها مؤهلات تعليمية بمساعي تربوية متحققة في آدم، ولا يستطيعها إلا الإنسان، ولهذا جاء اعتراف الملائكة بعد رؤيتهم لثمرة التعليم الإلهي لآدم بأحقية في

الخلافة، بعد أن كانت معارضتهم لخلقه قبل مرحلة التعليم التي أظهرها آدم عندما نبأهم بالأسماء التي لم تكن موجودة عند الملائكة.

وبتطور العلم ظهر ما يسمى بالمناهج التعليمية، والتي قامت على إعداد البرامج، وطرق التدريس، وتكوين المدرسين، وتوفير الوسائل، وغيرها من المستلزمات الضرورية بقصد إنجاح العملية التعليمية، والتي من أهم عناصرها ما نسميه بالكفاية التربوية، وهذه الورقة البحثية ترمي إلى الوقوف على مفهوم الكفاية التربوية، وتبيان أهم مقوماتها، والتركيز على دورها في إصلاح التعليم، وتفعيل جودته في مختلف المراحل التعليمية، فما هو مفهوم الكفاية تربوياً وتعليمياً، وما المقومات التي يمكن أن تسهم في تكوينها وتطورها لدى المعلمين في الممارسة الميدانية للتعليم، وكيف يمكن لهذه المقومات أن تتيح للتعليم الكثير من فرص الجودة في إنتاج جيل متعلم يمارس الوعي والتحضر والتقدم، ويحقق المستقبل للأوطان والشعوب والمجتمعات؟

2. مفهوم الكفاية التربوية:

الكفاية تحمل عدة معانٍ، ولعل المعنى الذي نحتاجه انطلاقاً من إشكالية هذه المقالة، هو تلك القدرة المتعددة الجوانب التي يجب أن يمتلكها المدرس في إنجاح العملية التعليمية، ونحن إذ نرمي إلى إيضاح معانيها لا نقصد بها إطلاقاً ما يدور من حديث ونقاشات حول مفهوم الكفاية التي أرادها المنهاج التربوي في مرحلته الحالية، وإن كان الموضوع فيه الكثير من التداخل، «فالكفاية تعني القدرة على تحقيق الأهداف والوصول إلى النتائج المرغوب منها بأقل التكاليف، كما تعني النسبة بين المخرجات إلى المدخلات، وبذلك فهي تقيس الجانب الكمي والكيفي معاً في مجال التعليم» (الفتلاوي، 2003، صفحة 29)، فالكفاية التربوية المقصودة تلك التي يتطلبها التعليم في مختلف المراحل والأزمان، وعبر مختلف الثقافات والحضارات، والمعلم نعني به كل من أوكلت له مهمة التربية والتعليم في مختلف المراحل التعليمية، بداية بمرحلة الطفولة إلى المتوسط والثانوي وصولاً إلى المرحلة الجامعية.

تعتبر العملية التعليمية من العمليات المعقدة لما فيها من عناصر متداخلة، ولما يحدث من خلالها من متغيرات طارئة، فالمدرس وإن كان شخصا عاديا، فإنه الشخص الذي يجب أن يمتلك القدرات والإمكانات اللازمة التي تؤهله أن يسير العملية التعليمية بمختلف ما فيها من تحولات على مستوى الزمن أو الأشخاص أو المكان، فالزمن في تغير مستمر، والأشخاص يمثلون تحولات الأجيال المختلفة، والمكان يتأثر تأثرا مباشرا بكل هذه التغيرات المتعددة.

لقد أثبت التاريخ التربوي والتعليمي للإنسانية أن المعلمين على اختلاف مراحلهم التاريخية كانوا ذوي قدرات وكفايات تربوية عالية الجودة، قوية الفاعلية، مما أسهم في نقل المعرفة من عصر إلى آخر، وإنتاجها عبر عملية التعليم الناجحة، ومن أمثلة ذلك ما عرف عن الفلسفة اليونانية القديمة، حيث كان سقراط معلما لأرسطو، وكان هذا الأخير معلما لأفلاطون، ومن خلال هذه الحلقة الناجحة لعملية التعليم أُنتجت الفلسفة اليونانية التي مازالت إلى اليوم معينا للدراسات والأبحاث المتعددة.

ومن أهم النماذج التعليمية والتربوية في تاريخ البشرية تعليمية الرسل والأنبياء، الذين أرسلوا بمناهج ربانية تسعى إلى ترسيخ معاني التوحيد ومكارم الأخلاق، فلقد قال خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم: «إن الله لم يبعثني معنئا ولا متعنئا ولكن بعثني معلما وميسرا» (رواه مسلم، رقم 1478)، ولقد مَكَّنَ الله هؤلاء الأنبياء والرسل بكفاءات تربوية عالية، وأخلاق سامية، متمثلة خاصة في الصبر والمحبة والشفقة، وحسن التواصل، والرفق في الحوار، والجمال في الخطاب، والجمع بين مخاطبة العقل والوجدان.

انطلاقا من كل هذا يتبين أن الكفاية التربوية هي قدرة فطرية، تنمو وتتطور في شخصية المعلم بفعل التجارب التعليمية التي يعايشها من تجربته الخاصة، أو من تجارب الآخرين، تحدد لها عناصر مشتركة وثابتة ومتغيرة، وهي مقومات تنطلق منها النظريات التربوية في تحديد الأسس السليمة لاختيار المعلمين الأكفاء الذين يصلحون لبناء وتجسيد مناهج تعليمية تخدم التعليم في أبعاده الحضارية والفكرية والاجتماعية، وتجعله تعليما

متجددا ينطلق من الماضي ليحافظ على الهوية والثوابت لكل أمة، وينفتح على الجديد ليساير المتغيرات والتطورات الحديثة.

3. مقومات الكفاية التربوية في المعلم:

من الواضح أن الكفاية التربوية التي نحاول أن نحدد مقوماتها هي كفاية تختص بالمعلم، فهذا الأخير يعد الحلقة المهمة في إنجاح العملية التربوية، فواضعو المناهج التربوية المختلفة على الرغم من الجهد الذي يقومون به في إعدادها، وتوضيح منطلقاتها وأسسها وتقريب طرقها، «إذ المدرس هو حجر الزاوية، وهو الذي تقع عليه مسؤولية النجاح أو الفشل في العملية التربوية والتعليمية، ولا شك أن مستوى إعداده له دخل كبير في هذا النجاح أو هذا الفشل» (مجاور، 2000، صفحة 15)، فالمدرس هو الشخص الوحيد الذي يعود إليه الفضل في الوصول بالمتعلم إلى الملمح الذي يسعى إليه كل منهاج، والعكس صحيح، وعلى هذا الأساس كان لابد من مقومات يجب أن تتوفر في المعلم، وهذه المقومات هي التي من خلالها نحكم على المدرس أنه ذو كفاية تربوية ونستطيع إجمالها فيما يلي.

1.3 المعرفة:

المعرفة غاية إنسانية نبيلة، وامتعة عقلية جليلة، وما خلق الإنسان خليفة إلا كي يكون عارفا، ولنفسه مدركا، ولمحيطة كاشفا، ومن الكون مستلهما، وللحياة مستبصرا، وإذا كانت هذه الغاية هدفا نبيلًا، فإنها في المعلم من الخصائص الأساسية، بل تعد القاعدة الأولى التي يجب أن تتوفر فيه، وسبيلها القراءة والاستكشاف والتبصر، لأنه الطريق الذي من خلاله يتبصر المتعلمون حقائق الحياة، ومعاني الوجود.

المعلم لا بد أن يكون عارفا وملما للمادة التي يدرسها، وللفئات التي يعلمها، فهناك معرفة ذاهبة منه إليهم، وهناك استقبال راجع منهم إليه، فالمتعلم لابد أن يحس بالمعرفة التي تزيد في تكوينه، وترفع من قدرته على الأداء الجيد في التفكير على مستوى العقل والشعور، وإذا كان المعلم ذا هيبة معرفية يشعر بها التلاميذ، وينتمون إلى جلالها وجمالها في مُدرّسهم، فإن ذلك يعتبر سلوكا تعليميا بالقُدوة والسلوك بعيدا عن القول والكلام،

ومن هنا وجب على المعلم معرفة ما يدرس، وأن يكون بصيرا بالمواد الدراسية التي أسندت إليه، مدركا لمضامينها، وعلائقها التي تربطها مع بعضها البعض ضمن البرنامج الجزئي أو الكلي الذي يُدرّسه، ومن أهم ما يجب على المدرس معرفته والاطلاع عليه اطلاعا كاملا هو معرفة المنهاج التربوي الذي يشتغل في إطاره وضمن أهدافه وطرقه، «فلعل من السمات البارزة للبرامج القائمة على الكفايات التدريسية تحديد خطوات البرامج وإجراءاتها، وتحديد الاستراتيجيات والإجراءات والأساليب والطرق والوسائل والأنشطة المساهمة في التدريس والتدريب لتحقيق أهداف البرامج، والتي من ملامحها التأكيد على الأداء، والعناية بالتدريب، والعمل الميداني» (الفتلاوي، 2003، صفحة 66)، فالبرنامج هو بمثابة الموجه الذي يحدد الطريق التربوي والتعليمي الذي يسير من خلاله المدرس.

ومن أهم المعارف التي تُمكن المعلم من اكتساب الكفاءة التربوية، المعرفة بالمتعلم سواء في مرحلة الطفولة، أو المراهقة، أو مرحلة الوعي، ولا يكون ذلك إلا بالاستعانة بمباحث علم النفس، إذ بمعرفة طبيعة الطفل وسلوكه ورغباته وميوله يستطيع المعلم أن يبدع في تطبيق الطرق التدريسية المناسبة لهذه المرحلة العمرية، فالطفل يخرج من مرحلة اللعب إلى مرحلة التعلم، وعبر هذا الانتقال وجب على المشتغلين على عملية التعليم أن يركزوا على المثيرات والمحفزات الذهنية والوجدانية بقصد أن تتكون في الطفل الرغبة الحقيقية للتعلم بكل إرادة ومحبة ورغبة، والشيء ذاته إذا كان المدرس يدرس المرحلة الإعدادية أو الثانوية، فإن هذه المراحل تتطلب إدراكا ومعرفة من نوع خاص.

لقد استطاع علم النفس أن يبحث بالتحليل والاستقراء مختلف المراحل العمرية للفرد المتعلم، ومن أهم هذه المراحل مرحلة المراهقة، وهي فترة عمرية تشترك فيها مجموعة من الخصائص بين جميع المراهقين، كما أن الفوارق قد تكون حاضرة من مراهق إلى آخر، ومن هنا يفترض على المعلم أن ينتبه إلى هذه الخصوصيات التي قد تصل إلى حد التعقيد في دراسة ومعرفة سلوك المتعلمين في هذه الفترة، ومن المؤسف عند بعض الأشخاص الذين لم يتابعوا تعليمهم أن الانقطاع عن الدراسة كان بفعل سلوك

سيء، أو كلام محبط تصرف به المعلم مع المتعلم كان له الأثر السلبي في مغادرة الكثير لمقاعد الدراسة، وبالمقابل هناك من المتعلمين الذين وصلوا إلى مراتب عالية في التحصيل العلمي بسبب ملاحظة إيجابية، أو توجيه سلوكي قَدَّمه المدرس للمتعلم في فترة معينة قد تكون في المراحل الأولى من التعليم الابتدائي جعله يتحمس في الوصول إلى ما وصل إليه.

إن معرفة ما ندرس ومن ندرس من أعظم المهمات اللازمة للمعلم، وهي معرفة لا بد أن تكون أصيلة فيه، ومتجددة في الوقت ذاته، لأن المدرس شخص تتجدد عليه الأجيال بعد الأجيال، وتتلاحق عليه المعارف بعد المعارف، وتتغير الطرق من منهج إلى آخر، فهو الثابت، وكل ما يدور حوله متغير ومتجدد، فتصبح المعرفة من أوكَد السبل وأنفعها عند المعلم كي يستطيع القيام بالعملية التعليمية على أكمل الوجوه وأحسنها، وخاصة المعرفة بالمتعلم، «فالواجب أن يقدم المدرس للمتعلمين مواقف تعليمية تسهم في مساعدتهم على اكتساب مهارات جديدة بأسلوب منطقي من أجل فهم الصراع الدائر حولهم والتغلب على الأزمات التي يمرون بها في مراحل نموهم، وذلك عن طريق الإسهام في إشباع حاجاتهم ومطالبهم النفسية» (جودة، 2011، صفحة 40)، وإذا استطاع المدرس أن يمتلك المعرفة اللازمة، وأن يجددها على حسب الظروف التي يعيش فيها المتعلم فإن المعلم بهذا يكون قد وضع في شخصيته التعليمية اللبنة الأساس في صناعة الكفاية التربوية المطلوبة.

2.3 التحضير:

يعد التحضير لللبنة التالية في عملية بناء الكفاية التربوية في شخصية المعلم، وهي مرحلة مبنية على قوة التصور، وعمق التوقع، والمعرفة تُمكن المعلم من جمع المادة العلمية والمعلومات الضرورية التي يخرزنها عقل المدرس، أما التحضير فهو عملية تنظيمية لتلك المعلومات، ومحاولة ترتيبها ترتيباً يوافق ذهن المتعلم، إضافة إلى ضرورة غرلبتها وذلك باستخلاص المفيد منها للمتعلم، باعتبار أن المعارف ليست كلها تصلح أن تعطى للمتمدرس وإذا كانت البرامج التعليمية تتوفر على كم كبير من المعارف والسلوكات التربوية التي يجب على المتعلم أن يكتسبها، فإن المعلم بحاجة إلى التركيز في تحضيره للمادة

العلمية على التعلّيمات المتدرجة أكثر، «فتلقين العلوم للمتعلّمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرّج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا» (ابن خلدون، 2007، صفحة 536) وذلك بقصد إنجاح الاستمرارية بطريقة سلسلة وأكثر مرونة ومنطقية.

وتكمن أهمية التحضير في معرفة خطورة التحضير السيء للدروس والبرامج، فالمعلم بحاجة ماسة إلى ضرورة العودة للمادة العلمية التي يريد تدريسها، وأن يعيش هذه الدروس في عقله ووجدانه وخياله قبل أن يُبأشرها مع التلاميذ، بحيث يكون مُعلّم نفسه قبل أن يُعلّم غيره، وإذا لم يهتم المعلم بهذه المرحلة في أدائه التربوي فإن الأداء التدريسي سيغلب عليه الجانب الشكلي، وهذا ما يؤثر سلبا على المتعلّمين فتطفو السطحية في التعلّم ويقل التفاعل والمناقشة والحوار داخل القسم. إن التحضير سلوك حضاري يجب أن يتجدد في المعلم في كل مرحلة من مراحل التعليم، وذلك لأن العمل داخل القسم هو في الحقيقة ثمرة للعمل خارجه، وهو معيار حقيقي لاهتمام المدرس بواجبه التربوي الذي يجب أن يكون مبنيا على قواعد صحيحة وسليمة، بعيدا عن السلبية التي تعتري بعض المعلمين في عدم أخذهم لمبدأ التحضير أخذا حقيقيا بدواعي الأقدمية أو المعرفة السابقة.

لقد أثبت الواقع أن الاكتفاء بما هو معروف في السابق دون المراجعة بالزيادة أو النقصان لهو من المطبات التي تجعل التعلّم منتكسا غير متجدد، فأستاذ الرياضيات وفق هذه الحالة سيبقى مدى سنواته محافظا على نفس التمارين والتطبيقات والأمثلة الشارحة، وكذلك معلم اللغة سيحبس نفسه وتلاميذه عبر سنوات متلاحقة في نفس الخلاصات والأمثلة والنصوص والشواهد، أما أستاذ التاريخ فلا نسمع منه إلا نفس التواريخ وأسماء الشخصيات من غير تحليل للأحداث والشخصيات على حسب المتغيرات التي يفرضها الواقع الذي يعيش فيه المتعلّمون والبيئة التعليمية ككل، وهنا تكمن قيمة القراءة في حياة المعلم، «إذ تزداد أهمية القراءة في المجتمعات بزيادة تعقدها، فكلما تعقدت الثقافة وازدادت المخترعات والمبتكرات، زادت أهمية القراءة» (طعيمة، 2004).

صفحة 90)، ومواصلة القراءة وعدم الانقطاع عنها يؤهل المدرس إلى فضاءات واسعة من الوعي والتجديد، مما يجعله على أهبة لما يعترضه من مشكلات تعليمية، فتجده متيقظا بالتحضير الجيد الذي تمنحه له القراءة المتجددة.

إن المتعلم يمكن أن يكون مفتشا في الخفاء، فهو شديد الملاحظة ودقيقها، وخاصة مع مُدرسه، فهو يلاحظ فيه كل شيء سلبيًا أو إيجابيًا، ينتبه إلى حركاته وألفاظه، وتصرفاته وسلوكاته، والتي ربما لا ينتبه إليها المعلم ذاته، وإذا كان المدرس يهمل التحضير الجيد لدروسه ويكرر الإهمال بصورة دائمة أو جزئية، فإن التلميذ هو الأكثر انتباها لهذا الإهمال، ومن الطبيعي أن يكون له أثر سلبي عليه، فيؤدي إلى الملل أثناء الحصة، والتراخي عن القيام بالواجبات، وعدم التركيز وضعف الانتباه في متابعة الدروس والتطبيقات. ومن عادة التلاميذ القيام بالمقارنات بين المعلمين والأساتذة، ويكاد يكون هناك إجماع عندهم في الحكم على أستاذ دون آخر، وتصنيف الأساتذة في عقول التلاميذ شيء طبيعي، لما للفروقات والقدرات المختلفة من أثر في جعل معلم ليس كمعلم آخر، إلا أن الحكم سيكون ذا خطر إن كانت منطلقاته واقعية ومنطقية عند أغلب المتعلمين الذين يجمعون في آرائهم حول معلم محدد على أنه يكرس الإهمال في عملية التحضير التي يجب أن تكون عنصرا ذا قيمة ومرحلة تعليمية يؤسس من خلالها المعلم للكفاية التربوية المطلوبة.

وبالجملة فإن التحضير الجيد يعطي للمعلم القدرة على الإبداع في طرق التدريس ويمنحه الكفاءة العالية في مواجهة المشكلات الدراسية، ويساعده على التفاعل المفيد بينه وبين متعلميه، ويبصره في كل مرة بالجديد، وينميه إلى النقائص الموجودة سابقا.

3.3 النظام والانضباط:

إن هذا المَقوم يكتسب أهميته من كونه يعطي النموذج النهائي للعملية التعليمية داخل القسم، فهو بمثابة اللمسات النهائية التي يقوم بها المخرج في نهاية عمله السينمائي أو التلفزيوني وهو عبارة عن خيط متصل يصاحب المعلم في عمله من بدايته إلى نهايته سواء

داخل الحصة الواحدة، أو داخل جميع الحصص في كامل العام الدراسي، وهو عبارة أيضا عن مراقبة مستمرة يتبعها المدرس مع ذاته أولا، ثم مع مختلف المتعلمين ثانيا.

ولعل النظام والانضباط الذي تسعى إليه كل مدرسة، وكل معلم، وكل منظومة تربوية هو من الأمور التربوية التي يجب الانتباه إلى قيمتها الفنية والاجتماعية والدينية، خاصة داخل المجتمعات المتخلفة، والتي طغت عليها الفوضى والاضطراب وانعدام الذوق، ومن هنا وجب على المعلمين في مختلف المراحل التعليمية، وخاصة في المراحل الابتدائية الاعتناء بتربية النشء تربية تنمي الذوق، وترفع من قيمة الإحساس بالمسؤولية.

ومن أخطر المشكلات السائدة في حقل التعليم عدم قدرة الكثير من المربين على التحكم في انضباط الأقسام، مما يؤدي إلى الكثير من الفوضى واللامبالاة بين الطلبة مع بعضهم البعض، أو بينهم وبين معلمهم، وهو ما يسبب الكثير من إهدار للوقت، وضياع فرص التعلم الناجح، وعلى الرغم من كون أن النظام عملية مشتركة بين جميع الفاعلين في المدرسة وأنه سلوك يسهم فيه الجميع بواسطة التوجيه التربوي، وتطبيق القوانين التي تسطرها الهيئات المشرفة على العملية التربوية، كما هو الشأن في المجالس التأديبية، إلا أن وظيفة المربي في تهيئة النظام والانضباط داخل المدرسة له الدور الفعال والكبير في سيره وتجسيده، ومن أبلغ ما ذكره التاريخ في هذا الشأن مقولة هارون الرشيد لخلف الأحمر عندما دفع له مهمة تربية ولده الأمين فقال له: «لا تَمُرْ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة» (ابن خلدون، 2007، صفحة 542)، فهذه الوصية دليل على ضرورة التشارك بين الأولياء والمعلمين في تفعيل سلوك الانضباط لممارسة العملية التعليمية بكل أبعادها المرجوة، والتي تتراوح بين الشدة واللين، ومعرفة مواضع كل واحدة في موضعها اللائق بها تربويا.

يبدأ سلوك الانضباط في التجسيد لدى المتعلمين عندما يلاحظون هذا السلوك متجسدا في المعلم من خلال أدق الأمور الصغيرة والكبيرة التي يمارسها مع متعلميه،

انطلاقاً من حضوره في الوقت المحدد، ومن وضعية دخوله إلى القسم، مروراً بحركاته اللفظية والحركية، وكذلك طريقة ترتيبه لأفكار الدرس عبر مراحل الشرح والنقاش والمحاور، وتبادل الأدوار بطريقة منظمة وهادفة للوصول إلى تحقيق الأهداف المرجوة من الدرس أو الوحدة أو البرنامج ككل، إن المتعلم شخص له قدرات عقلية وشعورية متعددة، ومتى كان المعلم يستطيع أن يثير هذه القدرات بواسطة مهاراته التنظيمية وسلوكاته المدروسة بعناية ودقة، فإنه يستطيع أن يربي في التلميذ عادات تعليمية، ومهارات سلوكية تمتاز بالنظام والهدوء بعيداً عن الفوضى والبلبل.

ومن خلال الوضعيات المختلفة التي يحدثها المعلمون لتجسيد هذه المهارة التعليمية فإن تفعيل النظام داخل الصف يعد كفاية ذاتية تختلف من مدرس إلى آخر، فمن المدرسين من ينجح عن طريق الصرامة وعدم التسامح مع المخالفات، ومنهم من يسيطر على كل القسم باللين والرفق، ومنهم من يمتلك القدرة على الجمع بين الأسلوبين، وأياً كان الأسلوب فإن الغاية من ذلك تتمثل في الوصول بالمتعلمين إلى ممارسة العملية التعليمية ضمن مجال تربوي هادف يسعى إلى تكوين جيل قادر على مواصلة الحياة في صورتها الواعية والجميلة، بعيداً عن مظاهر الفوضى التي لا يجمعها ضابط أو وازع.

4.3 المشاركة والتواصل:

إذا نجحت العوامل السابقة في سيرة المعلم مع متعلميه فإن ثمرة هذا النجاح ستكون واضحة من خلال نجاح العملية التواصلية بين أطراف العمل التربوي، فتحدث المشاركة الفعالة، والتبادل الإيجابي والمستمر، وخاصة في ظل المناهج التربوية الحديثة التي أصبحت تركز على أن يكون المتعلم هو محور العملية التعليمية بعيداً عن التلقين والإلقاء، ولا تتحقق هذه الغاية التربوية إلا بوجود مدرس يمتن الحوار والنقاش الحر والمنضبط مع المتعلمين فاتحاً المجال لإبداء الرأي وحرية المناقشة، قادراً على مخاطبة جوهر المتعلمين، فَعَمَلُهُ كما يقول الغزالي: «يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه» (الغزال، 2010، صفحة

(262)، ولا يكون ذلك إلا بحسن التواصل، وصدق الأداء، وعمق المعرفة بدسائس النفس المعقدة.

إن الدروس التي يعطيها المدرس للمتعلم ماهي إلا محطات يكتسب من خلالها معارف معينة، ويتعلم بواسطتها مهارات حياتية تنمو معه في جميع مراحل عمره، فإذا أدرك المعلم هذا الهدف التربوي الكبير كان لا يتفانى في تدريب المتعلمين على هذه الخصال الشعورية والعقلية والتي سيكون لها دور عظيم في تكوين شخصية التلميذ مستقبلا. إن الطفل الذي يتدرب بواسطة القدوة التي يراها في معلمه على حسن التواصل مع زملائه في المدرسة، ويتربى على الفرح بنجاح زميله، ومشاركة الآخرين فيما يعلّمه أو يمتلكه من معلومات وأشياء، لهو بهذا التعليم السلوكي مشروع إنسان ناجح في علاقاته المستقبلية سواء الشخصية أو الاجتماعية ماهر في إتقان عمله، نافع لمجتمعه ووطنه.

فالتواصل ومشاركة المتعلمين، وجعلهم ينفثون على آفاق واسعة من الحياة، يتفننون في محاوراة الأفكار مع مدرّسهم من جهة، ومع بعضهم البعض من جهة ثانية، لهو من أوكد السبل في تحقيق مشروع إنسان مستقبلي يملأ الحياة نشاطا وعملا وإنتاجا، ولهذا ركزت المناهج الحديثة على أن يكون المعلم موجها لعملية البناء التعليمي التي هي من مهمة المتعلم، إذ يعتبر البناء وفق هذه الرؤية التربوية مهارة سلوكية ومعرفية تتداخل فيها العناصر العقلية والشعورية، فعلى المتعلم بتوجيه وإرشاد من المعلم أن يتدرب تدريجيا متماشيا مع الأهداف التي يحددها المنهاج لكل مرحلة على اكتساب هذه المهارات والكفايات بوعي يؤدي في النهاية إلى اكتمال مجموعة من الخبرات التربوية والحياتية في شخص المتعلم، وعلى حسب قول روجيرز أحد خبراء التعليم "أنه لا يكفي أن يمتلك الشخص قدرا من المكتسبات ليقول إنه يمتلك الكفاية ولكن الأهم من ذلك أن يتمكن من تعبئة هذه المكتسبات بطريقة فعلية لحل وضعية مشكلة معينة "

وهذه الخبرات يجب أن تكون أهدافها مدروسة بعناية، وأن تكون وفق مراحل مرتبة تخدم بناء الخبرة بناء تربويا متكامل العناصر مما يتوافق وطبيعة المرحلة التعليمية، وكذلك البيئة التي يعيش فيها المتعلم، وخاصة بيئة المنزل في صورة الوالدين، «فتعتبر قدرة المدرسين على التواصل والاندماج في المجتمع المحلي في إشراك الآباء وأولياء الأمور في العملية التربوية لأطفالهم أمرا ضروريا لنمو المتعلمين، وتسهم كفاءاتهم في التأثير على علاقاتهم مع الآباء أساسا في تعزيز دوافع التعلم» (أنكروم، 2018، صفحة 133) وهذا العمل التربوي لا يكون ذا فائدة إلا بتوفر عنصر التواصل المثمر الذي يتحلى به المدرس مع متعلميه، فإذا غاب جوهر هذا التواصل وجد المتعلم نفسه يعيش في جو تعليمي فاقد للحياة والنشاط، مما يؤدي به إلى ممارسة التعليم بطريقة روتينية غير مثمرة سواء على مستوى التفكير أو على مستوى الإبداع والتفاعل.

إن الكفاية التربوية المطلوبة في المتعلمين تتعدى المعرفة بالمادة العلمية المطلوبة في كل ميدان تربوي، وتتعدى أن يكون المعلم في المراحل الابتدائية مثلا عارفا بقواعد القراءة والكتابة والحساب، أو أن يكون الأستاذ في المرحلة الثانوية ممتلكا للمعارف التي تخص المادة التي يدرسها، فهناك قدرات أخرى حضورها ضروري وواجب في المعلم تنهي فن التواصل والتشارك بين أطراف العملية التعليمية، وتمنح التعليم فرص الجودة والتطور، ومن هنا تكون المدرسة محطة لإعداد جيل يفهم الحياة و يتفاعل معها ومع متغيراتها المختلفة وظروفها الطارئة فالمتعلم وفق هذه الرؤية التربوية يصبح ذاتا إنسانية يؤمن بنفسه وبقدراته وبإمكاناته التي يوظفها في مساره الحياتي، «فمن أعظم ما يمكن أن نفكر من أجله بناء النماذج، حيث إن عقولنا تكره الفوضى، وتكره الغموض، وتجد صعوبة بالغة في التعامل مع الأمور العائمة، وغير المتعينة، ومن ثم كان بناء النماذج عملا عظيما، لأنه يسهل علينا عملية فهم العالم وعملية التربية والتعليم أيضا» (بكار، 2012، صفحة 48)، فالمتعلم يصبح هدفا مستقبليا تشتغل عليه العملية التعليمية لبلورته بأبعاد تربوية

وبيداغوجية كي يكون نموذج إنسان ناجح فيه مقومات الفكر والنقد والإبداع والعمل والنشاط، وأن يكون يزيد في الحياة، لا أن يكون زائدا عليها.

لقد تبين أن التواصل فن تعليمي وتربوي مهم له دور فعال في تنمية الكفاءة التربوية للمعلمين والمدرسين، حيث يتمكن التلاميذ من خلاله إلى اكتشاف ذواتهم، ومعرفة قدراتهم ويتعلمون الطرق والوسائل لتنميتها، وحسن استغلالها عن طريق القيام بمجموعة من الوضعيات التعليمية التي تخدم وتزيد من بناء الذات المتعلمة والذات المعلمة في الوقت نفسه وهو الأساس الذي يدفع بالتعليم للوصول إلى مراحل متقدمة من التطور أساسه الكفاءة المتجددة في المدرس، والكفاءة المكتسبة في المتدريس، وهذه الثنائية للكفاية بين المدرس والمتدريس تنطلق من حتمية التكوين التي يجب أن تلاحق المربين، وأن تكون ملازمة لهم في مختلف سنوات الممارسة التربوية، وذلك بتجديد المعارف، والاطلاع على النظريات التربوية الجديدة، وحسن توظيف الوسائل التكنولوجية بطريقة نافعة، وأهم من كل ذلك محاولة فهم الأجيال المتلاحقة، وفهم لرغباتها وقناعاتها، وطرق تفكيرها، وخاصة إذا كان المدرس ينتمي إلى جيل بعيد زمانيا عن الجيل الذي يدرسه.

فالمعرفة بالزمان والمتغيرات، والتحوليات التي تحدث في المجتمعات سواء المحلية أو العالمية باعتبار أن العالم أصبح قرية مفتوحة للجميع عبر وسائل الإعلام المختلفة، ووسائل التواصل الاجتماعي المتعددة، فمن الضروري على المعلم أن يكون مدركا لكل هذه الظروف الطارئة، والتي ستطرأ مستقبلا، وهو ما يؤهله تربويا أن يكون قادرا على عملية التواصل والتفاعل مع مختلف الأجيال التعليمية التي تمر عليه، مما يجعله منفتحا على جميع الاحتمالات، وجميع المتغيرات، منتبها إلى ضرورة تثمين ما يمكن تثمينه، أو تصويبه أو إصلاحه أو محاربته إن تطلب الأمر ذلك، وتلك هي كفاية التقويم والتقييم التي تعد من أهم مقومات الكفاية التربوية في المدرس.

5.3 التقويم:

التقويم عملية تربوية تعليمية يمارسها المعلم في مختلف المراحل التعليمية داخل الحصة الواحدة أو وسط مجموعة من الحصص ضمن وحدة معينة، أو في إطار برنامج فصلي أو سنوي، وتمارس عملية التقويم بطرق متعددة تهدف إلى ضمان التطور في عملية التحصيل الدراسي على مستوى المعارف والمعلومات، وكذلك على مستوى المهارات العقلية والحركية والشعورية الوجدانية، ولا بد على المعلم أن يمتلك القدرة على تقييم المتعلمين بطريقة تربوية فعالة ومنتجة، حيث يكون الهدف منها البحث عن النقص والسلبات بقصد وضع خطة ممنهجة للوصول إلى معالجتها ووضع حلول لها.

غالبا ما يبدأ التقويم بما يسمى بالتقويم التشخيصي، والذي يتخذه المعلم منطلقا تربويا لمعرفة مستوى التلاميذ، وهو عبارة عن محطة أولية تكون في بداية العام الدراسي تسعى إلى المعالجة الطارئة التي تحدث عند بعض المتعلمين بقصد إدخالهم تربويا في الجو الدراسي الجديد الذي تمثله كل مرحلة، كما يُمكن هذا التقويم المعلم من اكتشاف الفروق الفردية بين المتعلمين مما يدفع به إلى محاولة التقريب التعليمي، وجعله غير متباعد بطريقة واسعة، على الرغم من التأكيد على أن الصف الدراسي لابد أن يكون متوفرا على التفاوت الحتمي بين التلاميذ في المستوى والقابلية والرغبة.

ولا تتوقف عملية التقويم في عمل المعلم عند مرحلة التقويم التشخيصي، بل تستمر طيلة العام إلى أن تصل إلى التقويم النهائي المتمثل في إعطاء درجة معينة للمتعلم من خلال نظام الفروض والامتحانات، ومن الأخطاء الشائعة بين بعض المدرسين أن النقطة التي تعطى للمتعلم تمثل تقييما نهائيا للمتعلم حيث تعتبر مقياسا للفشل أو النجاح، «فالتقويم يتنوع وفق مراحل بناء شخصية المتعلم، فهو ذو أهمية في سيرورة الفعل التربوي والتعليمي، فهو لا يراهن فقط على المعارف والحفظ والتذكر، بقدر ما يراهن على المهارات والقدرات والمعارف والمعلومات» (طلبي، 2017، صفحة 93)، والتقويم الذي يفترض أن يكون كفاية حقيقية في المعلم هو ذلك الذي يركز أساسا على اكتشاف

قدرات وامكانيات المتعلمين بقصد توجيههم إلى المجالات التي يمكن أن ينجحوا فيها مستقبلا، أما التقويم بواسطة الامتحانات فهو عملية تحصيلية لمحطات تعليمية أخذها المتعلم مع المعلم، يجب أن تتميز بأكبر قدر من الوضوح والدقة، وأن يكون الهدف منها قياس قدرة التلميذ على استيعاب الأفكار، مع تنمية القدرة على التحليل والمقارنة والمناقشة.

إن المدرس الذي ينجح في مراقبة المتعلم مراقبة تربوية دقيقة مبنية على معرفة حقيقية، قد تؤدي به إلى توجيه فئات معينة من المتعلمين إلى ممارسة نشاطات، وتعلم تعلمات مهنية أخرى بعيدا عن المدرسة سواء في مراكز التكوين المهني أو المؤسسات الخاصة، وهذا التوجيه يعد أسلوبا تقويميا يوظفه المدرس لصالح المتعلم، فمن الآفات التي تمارس في تقويم الطلبة عدم التركيز على الميولات والمواهب الكامنة فيهم، «وعيب هذا النظام أنه لا وقت لديه لاكتشاف المواهب والطاقات المبدعة، والزعات الجديدة التي تمتد المجتمع القادم بدماء شبابه» (الشيخلي، 1983، صفحة 09)، فالنجاح ليس بالضرورة أن يكون مرتبطا بالمدرسة، فقد يكون في مجال آخر تتطلبه الحياة والمجتمع.

ولا بد في حديثنا عن التقويم أن نشير إلى ضرورة تدريب التلاميذ من طرف المعلم على تقويم أنفسهم، أو تقويم بعضهم البعض، فلا يجب أن يكون المدرس أثناء هذه العملية هو المصحح والموجه فقط، بل عليه أن يعطي الفرصة للمتعلمين كي يكتشفوا أخطاءهم بأن يدرهم على التقويم الذاتي، وأن يتواصلوا مع بعضهم البعض في تقويم أنفسهم، مما يؤدي بهم إلى اكتشاف ذواتهم من جهة والآخرين من جهة أخرى، فقد يتوصل التلميذ إلى تقويم نفسه عن طريق زملائه أكثر من تقويم مدرسه، ففي حصة الإملاء مثلا يستطيع التلاميذ اكتشاف الأخطاء الإملائية لبعضهم البعض، مما يوفر الجهد على المعلم، ويضفي على عملية التعلم بعدا تشاركيا فعالا في مجال التقويم، بدلا من أن يكون الأستاذ هو الوحيد المشار إليه في ممارسة هذه العملية.

ومما يجدر الإشارة إليه في عملية التقويم باعتبارها كفاية تربوية في المعلم، أنها وسيلة لتقويم ذات المعلم من طرف ذات المعلم نفسها، وذلك بمتابعة جودة أعماله التعليمية مع المتدربين، وملاحظة مدى الاستجابة الفعالة لما يعطى لهم وفق الخطة المدروسة من طرفه فالمعلم عبر هذه المتابعة يستطيع أن يكتشف بعض السلبيات المتعلقة بتقديم بعض الدروس وذلك بقياس المحصلة التعليمية لأغلبية المتعلمين، فقد يستنتج المدرس مُشكلا في مسألة تعليمية معينة عند جل التلاميذ أو كلهم، وهذا يعد ملمحا يعيد من خلاله المعلم لطريقة تقديمه لتلك الوضعية التعليمية، وقد يُقوم المعلم تعليمه من خلال تراكم الخبرة التدريسية التي مارسها لفترة ما، فيعود إلى اتباع طرق في التدريس أكثر فعالية، وأعلى جودة، بأسهل الوسائل، وأيسر الطرق.

انطلاقا من هذه المفاهيم حول التقويم يظهر أن هذه الكفاية التربوية للمعلم من خلال مقوم التقويم تعطي للعملية التعليمية بعدها التواصل، إذ تؤثر للمعلم والمتعلم المستوى الموجود، مما يمنح الفرصة لهما إلى الاستمرار في اكتساب مهارات وخبرات ومعارف تعليمية وتربوية عبر طرق التدرج إلى تحقيق مستويات أخرى، وهذا ما يسعى في المناهج التربوية بلمح الدخول ولمح الخروج، وهو ما من شأنه أن يمنح للمعلم رسم منهجية تقويمية دقيقة وفعالة تثمر في المتعلم نموا تعليميا مناسباً، وتنمي في المدرس حسا نقديا للظاهرة التعليمية التي يمارسها مع متعلميه، فيبدع في معالجة الأخطاء ويقومها إلى الأحسن، ويحسن توجيه المتعلمين إلى ما هو أفيد لهم في حياتهم ومسارهم.

4. الكفاية التربوية وجودة التعليم:

لقد وضحنا من خلال الصفحات السابقة الكفايات اللازمة التي تعطي للمعلم الرتبة الحقيقية كي تتحقق فيه صفة الإنسان المعلم والمربي، ومن هنا فمن الواجب الذي لا مراء فيه أن تسعى الهيئات المشرفة على التعليم بكل جهد وصرامة إلى ضرورة العناية بهذه المهنة النبيلة عناية خاصة، فتعني باختيار المعلمين المناسبين الذين يمتلكون الموهبة اللازمة، والرغبة الحقيقية في ممارسة التعليم، والمتطعين إلى مراتب عالية في التكوين

بقصد تقديم خدمة عظيمة للمجتمع، «ولذلك فقد أصبح هم التربويين هو التفتيش عن أفضل الطرائق التي يتم بها تعلم العلوم باعتبار أن أساليب وطرائق تدريس العلوم هي الوسائل لتطوير العلم في مجتمعات اليوم» (نشوان، 1977، صفحة 12)، والرفع من جودة التعليم انطلاقاً من هذه المناهج التعليمية هو الأساس الأول في صناعة الحضارة، وبناء المجتمعات بناء حقيقياً يسوده العمل والنشاط والقيم والتكامل.

وتعني جودة التعليم التي هي مرمى كل منظومة تربوية ناجحة الوصول بالمتعلمين إلى اكتساب مهارات وخبرات محددة، تحدد لها المرحلة التعليمية لكل متعلم، وهذه المهارات يكون لها دور فعال في بلورة شخصية إنسان ذي أبعاد تربوية وقدرات حياتية، وهو ما يصنع في المجتمع نماذج إنسانية تعطي وتزيد في الحياة، وتشارك في الإسهامات التي يحتاجها المجتمع وتؤثر إيجاباً في تطلعات الإنسانية أجمعها.

إن المتعلم الذي ينمو في وسط منظومة تربوية تهتم بجودة التعليم، هو إنسان متصل بذاته وبيئته المحلية والعالمية، مما يجعله قادراً على تحقيق الأهداف التي جاهد في سبيلها مجموعة من الفاعلين التربويين بداية من الأولياء إلى المدرسين إلى واضعي البرامج والمناهج وغيرهم من الذين أسهموا من قريب أو من بعيد في بلورة واقع تعليمي متطور، «فالجودة الشاملة مدخل عملي لتوكيد جودة المؤسسات ومن بينها التعليم في جميع عناصره، وتعطي فرصة لتحديد ثوابت ومستويات الأداء بالإضافة إلى تصميم أدوات التقويم، وتصف ما يجب أن يتعلمه الطالب وكيف يتعلم وتحديد الأنشطة التي يجب أن يؤديها المتعلم في الحد الأعلى من الأداء من خلال تحديد المناخ المناسب والصعوبات التي تواجه النظام التعليمي ومن خلال العلاقات بين عناصر المنظومة التعليمية» (الجبوري، 2015، صفحة 65).

وتبقى مهمة المعلم في تحقيق هذه الجودة لها الدور العظيم باعتباره العنصر الذي تتجسد من خلاله مبادئ وأهداف كل برنامج تعليمي، «فلا يمكن تحسين نوعية التعليم العام في المدارس ما لم يتم تحسين مستوى المدرسين الذين يقومون بالعمل في هذه

المدارس فمخططو المناهج والمواد التعليمية والإداريون لا يمكنهم التغلب على التأثيرات السلبية للتدريس الضعيف لدى المدرسين، ومن هنا تأتي أهمية إعداد المدرس الجيد لأنه القوة المحركة للعملية التعليمية بشتى محتوياتها ومضامينها» (الجبوري، 2015، صفحة 79)، وعلى هذا الأساس أصبح التعليم بحاجة ماسة إلى ضرورة التكامل والتعاون وفق رؤية محددة ومدرسة يقوم بها جميع المدرسين سواء لفئة معينة، أو لقسم محدد، أو لمجموع من في المدرسة من المتدربين، إن العمل الجماعي والتشاركي في متابعة التلاميذ في مختلف الوضعيات التعليمية بين مختلف المعلمين يعطي الفرصة الإيجابية لهؤلاء المربين من اكتشاف الطاقات الكامنة لدى المتعلمين، ويسمح بمعرفة أكثر دقة لما قد يكون غير واضح في نفسيات الكثير من التلاميذ الذين يحتاجون إلى الرعاية والمتابعة والعناية.

5. مظاهر جودة التعليم من خلال الكفاية التربوية للمعلم:

إن التعليم الجيد المبني على أسس تربوية عالية، ومبادئ تعليمية ذات أثر بيداغوجي نافع، وبرنامج دراسي هادف، واختيار منفذ في صورة معلم مُتكون وفاعل، هو الذي يُمكن من تحقيق مجموعة من المظاهر التعليمية التي نقيس من خلالها جودة التعليم من عدمه في شكل مجموعة من المتعلمين المتفوقين في مجالات متنوعة تفرضها طبيعة الحياة، والبيئة الاجتماعية المعاشة، وكذلك طبيعة التوقعات المستقبلية الممكنة.

لقد أصبح البحث عن جودة التعليم في وقتنا الحاضر مطلباً ملحا أكثر من أي وقت سابق، وذلك للمتغيرات السريعة التي يشهدها العالم في مختلف المجالات وخاصة الجانب التكنولوجي، وانتشار الانترنت في كل مناطق العالم، مما جعل الأفراد في تواصل وتفاعل مع مختلف الأحداث في كامل المعمورة، ولقد حمل هذا التفاعل معه إلى الأشخاص الغث والسمين والسلي والإيجابي والنافع والضار، ومن هنا ونتيجة لهذا الواقع المعقد أصبح التعليم في مفترق الطرق، فلزم على المنظومة التربوية لكل بلد أن تستوعب كل هذه الازدحامات والتحويلات من أجل أن يكون التعليم رائداً في الحفاظ على مقومات الدول وهوياتها وثقافتها ودينها وعاداتها مجسداً لتعليم جيد يحافظ على الخصوصيات،

ويبدع في تطوير المتعلمين على حسب ما تفرضه التطورات المختلفة. إن الجودة التي نتطلع إليها من خلال الجهد الذي يقوم به المعلم ذو الكفاية التربوية تتلخص في العناصر التالية:

1- قدرة المتعلم على التفكير الإيجابي من خلال امتلاك معرفة في مجالات متعددة، تجعله يستطيع اكتشاف عوالم متعددة في الحياة، مما يسمح له باختيار الطريق المناسب له سواء في مزاولة الدراسة، أو ممارسة المهن التي تليق بقدراته وطموحاته.

2- القدرة على تقييم المعلومات والأفكار، وتلقينها بالتحليل والنقد والغربة، وخاصة في ظل ما يعيشه المتعلم اليوم من تدفق كبير للمعلومات من خلال الأنترنت، فالجودة تقتضي من المدرس أن يدرب المتعلمين على كفايات تقييم الآراء والاتجاهات بدل فرضها عليهم لأن المدرس مقتنع بها، «فكلما سيطر أو هيمن فكر سياسي محدد، أو فكر ديني معين على التعليم تحول هذا التعليم إلى مجرد آلة للدعاية، وفي هذه الحالة يتحول التعليم إلى عملية نقش غير واع في أذهان المتعلمين» (النوضه، يناير، 2017، صفحة 92)، فحياد التعليم مطلب تعليمي مهم، وسلوك تربوي يسلكه المدرس من أجل تربية المتعلمين على كفايات المحاوره والتقييم والنقد بدل من أن تفرض على الطلاب القناعات والأفكار من غير غربة وأخذ ورد.

3- تكوين مهارات العمل الجماعي والتشاركي بين المتعلمين داخل المدرسة، ومع الآخرين خارجها، وذلك بالانخراط في مشاريع تنمي روح العمل الجماعي الفعال.

4- امتلاك خبرات لغوية وكتابية، أساسها ترسيخ ثقافة القراءة والمطالعة، بقصد محاولة امتلاك مهارة الكتابة والتأليف خاصة عند الموهوبين في هذا المجال.

5- المعرفة باللغات الأجنبية باعتبارها وسيلة فعالة وضرورية للتواصل مع الآخرين في مختلف الثقافات والمجتمعات.

6- المهارة في امتلاك تقنيات التقانة الحديثة مثل البرمجيات وكل ما يتعلق بالتكنولوجيا الحديثة واستخدامها في تطوير المعرفة.

7- الاهتمام بالتاريخ الوطني واللغة الرسمية والثقافة الدينية لتكوين جيل ذي صلة بمقوماته الخاصة، يتوفر على قيم الشعور بالانتماء.

8- القدرة على ممارسة القيم النبيلة على أرض الواقع مثل الشعور بالمسؤولية، وإتقان العمل، ومشاركة الآخرين، والرغبة في النجاح، وحب الوطن، والدفاع عن المقدسات كالدين واللغة والأسرة، والشعور بالإنسانية مع جميع الناس على اختلافهم، العيش بكرامة وحرية وأمانة واستقامة.

9- اكتساب مهارات الدقة والانضباط، وذلك بالقدرة على تنظيم الوقت، وتقسيمه على حسب المتطلبات الحياتية للمتعلم، كالجانب البدني والترفيهي والثقافي والاجتماعي والروحي.

10- القدرة على مقاومة الفشل والسلبية والإحباط، وخاصة أن بعض المتعلمين يعيشون في بيئة سلبية تسودها قناعات تُناقض ما تسعى إليه الكفاية التربوية في المتعلم المرغوب.

إن هذه المظاهر التي يمكن أن تتجسد كلها أو في أغلبها من خلال ما يعمّله المعلم مع متعلميه وفق كفاياته التربوية هي ما يؤثر على تحقق جودة التعليم، وظهوره في نتائجه ومخرجاته، وذلك ما ينعكس بالإيجاب على نمو المجتمع وتطوره في سبيل تحقيق آفاق كبيرة بصناعة نماذج بشرية في مجالات متعددة تعمل على بلورة مستقبل زاهر للدول والمجتمعات.

6. خاتمة:

لقد ركزت هذه المقالة على إبراز أهمية الكفاية التربوية، وسبل تحقيقها في عمل المعلم في مختلف المراحل التعليمية، وذلك بالإشارة إلى أهم مقوماتها، والتي من شأنها أن تحقق منظومة تربوية ذات جودة تعليمية عالية ونافعة للوطن والمجتمع، ومع العلم أن هذه الجودة المطلوبة هي جهد مجموعة من الفاعلين، إلا أننا في هذه الورقة البحثية كان اهتمامنا على دور فاعل واحد يعد العنصر الأساسي في تحقيق الجودة والتطور وهو المعلم

المربي، إن الواقع التعليمي في الكثير من الدول ليبين أن إهمال اختيار المعلم المناسب، وإهمال تكوينه المتجدد لهو من أخطر العوامل في انتكاسة التعليم وعدم قيامه بأدواره المنوطة به، كما أنه يعد سببا رئيسيا في شيوع ظاهرة التسرب المدرسي التي عانى منها ولا يزال الكثير من المتعلمين وفي مراحل تعليمية مهمة، كما يحدث لبعض الأطفال في التعليم الابتدائي، والكثير من المراهقين في المرحلة المتوسطة، ولقد أصبح مهما وأساسيا العمل على تكوين معلمين حقيقيين يمتلكون المهارات الكافية في ممارسة التعليم الإيجابي والمثمر، كما وجب في المقابل العمل بكل صرامة على مجابهة الإهمال الذي يظهره المدرسون في تأدية عملهم التعليمي، ومحاربة ظاهرة المعلم الرديئ الذي لا ينظر إلى التعليم إلا على أنه وظيفة للرزق، بعيدا عن كونه رسالة تتطلب مسؤوليات عظيمة وكبيرة.

7. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. أبو حامد الغزالي. (2010). رسالة أيها الولد، الرسائل. بيروت: دار الفكر.
2. أحمد سعادة جودة. (2011). تنظيمات المناهج وتخطيطها وتطويرها. الأردن: دار الشروق.
3. رايمند ج أنكروم. (2018). الوضعية السوسيو اقتصادية وأثرها على التواصل المدرسي بين المدرسين والآباء. (ترجمة: أحمد منصور، المترجمون) مجلة النداء التربوي (العدد 21 و22).
4. رشدي طعيمة. (2004). الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية. القاهرة: دار الفكر العربي.
5. رشيد طلبي. (2017). التقويم والتقويم التشخيصي، المعوقات والرهانات. مجلة النداء التربوي، العدد 20.
6. رواه مسلم، رقم 1478. (بلا تاريخ).
7. سهيلة محسن كاظم الفتلاوي. (2003). كفايات التدريس. القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع.
8. عبد الرحمن ابن خلدون. (2007). المقدمة. (تحقيق: أحمد جاد) القاهرة: دار الغد الجديد.
9. عبد الرحمن النوضه. (يناير، 2017). كيف نصلح التعليم. مجلة أفكار، العدد 12.
10. عبد القادر الشبخلي. (1983). تطوير المستوى العلمي للطالب الجامعي. الأردن: دار الفكر.
11. عبد الكريم بكار. (2012). تكوين المفكر خطوات عملية. القاهرة: دار السلام.
12. فلاح صالح الجبوري. (2015). مدرس اللغة العربية. الأردن: دار الرضوان للنشر والتوزيع.
13. محمد صلاح الدين مجاور. (2000). تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية. القاهرة: دار الفكر العربي.
14. يعقوب نشوان. (1977). الجديد في تعليم العلوم، مؤسسة الرسالة. عمان، بيروت: دار الفرقان.